كلمة هادئة في

التبرك

للدكتور

عمر عبدا كامل

دار المصطفى
للطبع والنشر والتوزيع

الرقم المسلسل: ٠٠٢
رقم الإيداع:

(سلسلة مفاهيم يجب أن تصحح)
العنوان: كلمة هادئة في الحياة البرزخية

المؤلف ومن في حكمه: د. عمر عبدالله كامل

تطلب إصداراتنا في جميع أنحاء العالم من
أوروبا:
P.O. Box: 2232 C E, Liden 2301 The Nether Lands
بلاد الشام: دار الرازي – عمان الأردن

جنوب شرق آسيا:

مصر: من جميع مكتبات الأزهر وسيدنا الحسين

الطبعة الأولى
١٤٢٦هـ ٢٠٠٥م

تطلب جميع إصداراتنا من
دار المصطفى
للطبع والنشر والتوزيع

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله الذي جعل محمدًا رحمة للعالمين، وذخيرة للمتبركين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد صاحب الكمال، خير من تضرب له أكباد المطي وتشد إليه الرحال، وعلى آله وصحبه خير صحب وآل.

وبعد:

فهذه سلسلة «**مفاهيم يجب أن تصحح**» ، والتي فاز بقدم السبق فيها المرحوم السيد الأستاذ الدكتور **محمد علوي المالكي** رحمه الله، وجمعنا به في جنات النعيم.

وكم كان مصيبًا حينما نادى منذ أمد بعيد بتصحيح هذه المفاهيم، فالسكوت عن مجازفة البعض -والتي وصلت إلى حد التكفير والاتهام بالشرك بسبب المغالاة في هذه المفاهيم، وجَعْل بعضها من العقائد وهي من الفروع- أحدث كثيرًا من الفتن التي نحصد اليوم نتائجها.

والمفهوم الذي بين يدينا هو سادس هذه المفاهيم، وهو مفهوم « التبرك » .

بَينت في هذه الرسالة مشروعية هذا الأمر، ونقلت اتفاق علماء المسلمين عليه، مستندا في كل ذلك إلى الكتاب والسنة، بما لا يدع مجالا للشك في مشروعية ذلك، ﴿ لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ﴾

والله أرجو القبول والتوفيق إنه على ما يشاء قدير وبالإجابة جدير، وهو حسبنا ونعم الوكيل.

د. عمر عبدالله كامل

في ربيع الأول ١٤٢٦هـ

القاهرة- مصر

مفهوم التبرك

معنى التبرك: طلب البركة، والبركة هي: النماء والزيادة.

والتبريك: الدعاء للإنسان بالبركة. وبارك الله الشيء وبارك فيه وعليه: وضع فيه البركة.

وفي التنزيل: ﴿وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ﴾[1] وتبركت به تيمنت به.

والمعنى الاصطلاحي للتبرك هو: طلب ثبوت الخير الإلهي في الشيء.

وقد يراد من التبرك التعظيم:

فقد قبّل سيدنا رسول الله ﷺ الحجر الأسود. وكان رسول الله ﷺ يطوف بالبيت ويستلم الركن (أي الحجر الأسود) بمحجن معه ويقبل المحجن (وهو عصا محنية الرأس)[2]

وقال نافع: رأيت ابن عمر يستلم الحجر بيده، ثم قبل يده وقال: «ما تركته منذ رأيت رسول الله ﷺ يفعله»[3].

فاستنبط العلماء من ذلك جواز تقبيل كل ما هو معظم، وكل من يستحق التعظيم، وكل ماله صلة بالمعظم.

ومن التعظيم: تقبيل الحجر الأسود، أو أي شيء له علاقة به كالمحجن عندما يشار به إلى الحجر الأسود، أو اليد إذا أشير بها إلى الحجر الأسود.

ومن التعظيم: تقبيل يد النبي ﷺ أو أي جزء منه كشعره الشريف الطاهر.

ومن التعظيم: التبرك به ﷺ أو بأي جزء منه، أو بأي أثر من آثاره. وكذلك الحال في السادة الصالحين نفعنا الله بهم، ففعل هذا كله يدل على التعظيم.

والتعظيم يصدر من المسلم امتثالا لأمر الله في تعظيم حرمات الله، وطلباً لرضاه والثواب منه تعالى، فالتقرب إلى الله تعالى حاصل بالتبرك، لأنه تعظيم ولأنه طلب للخير من الموارد المشروعة،فالتبرك والتعظيم يترادفان.

إذن فالتبرك هو طلب الخير الكثير، كطلب الشفاء من الله تعالى عن طريق إنسان مسلم صالح مبارك لمكانته الرفيعة عند الله، فالذي يتبرك بالأشياء أو بالصالحين أو بآثارهم إنما يطلب الخير الكثير من الله تعالى عن طريق هذا النبي أو

---

(1) الأنعام: من الآية١٥٥

(2) رواه مسلم، ح ١٢٧٥.

(3) رواه مسلم ح ١٢٦٨.

هذا الإنسان المسلم الصالح، أو عن طريق أثر من آثارهم كما كان الصحابة يفعلون بالنبي ﷺ وبآثاره، يتقربون إلى الله بالتبرك به وبآثاره.

وكذلك يكون التبرك عن طريق أي وسيلة مشروعة كالحجر الأسود، والبقاع المباركة التي خصها الله تعالى بمزيد فضل على غيرها.

ثم إنه كما أن أخذ الدواء طلبا للشفاء مشروع، كذلك التبرك بالأنبياء والأولياء وآثارهم، طلبا للشفاء أو طلبا للأجر: مشروع.

وكما أن الذي يأخذ الدواء يجب عليه أن يعتقد أن الشافي هو الله تعالى، كذلك من يتبرك بالأنبياء والأولياء يجب عليه أن يعتقد أن الضار والنافع والمعطي والمانع هو الله تعالى.

فمن يحرم التبرك يلزم عليه أن يحرم أخذ الدواء سدا للذريعة، أي لئلا يعتقد الناس بفعالية الدواء دون اعتقاد أن الله هو وحده الشافي.

وأئمة الإسلام يقولون بجواز التبرك، وهو ثابت بالكتاب والسنة والإجماع.

مشروعية التبرك من القرآن الكريم وأقوال المفسرين

البركة في الأشخاص:

– قال الله تعالى على لسان سيدنا يوسف عليه السلام لإخوته: ﴿اذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَأَلْقُوهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيراً﴾(٤)

ثم قال تعالى ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَاهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيراً قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لا تَعْلَمُونَ﴾(٥)

فنبي الله يعقوب عليه الصلاة والسلام كان قد ابيضت عيناه حزناً على فقدان ابنه يوسف، وأصابتهما غشاوة ولم يعد يرى، فببركة القميص الذي مس جسد سيدنا يوسف عليه السلام رد الله تعالى بصر أبيه يعقوب، وهما يعلمان جيدا أن الضار والنافع والشافي هو الله تعالى وحده، وكان بوسع سيدنا يوسف أن يرفع يديه ويدعو الله تعالى لأبيه بالشفاء فيستجيب الله له، ولكن لما كان التبرك بآثار الأنبياء والصالحين والاستشفاء بهما مشروعا مثل الدعاء: لجأ سيدنا يوسف إليه، فأرسل إلى أبيه قميصه وأمر أن يلقى على وجهه، ونفذ أمره، وارتد بإذن الله بصر سيدنا يعقوب ببركة القميص الذي مس جسد سيدنا يوسف بن يعقوب عليهما السلام.

– وقال تعالى: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيّاً﴾(٦)

الزكاة التطهير والبركة والتنمية في وجوه الخير والبر أي جعلناه مباركا للناس يهديهم وقيل المعنى زكيناه بحسن الثناء عليه كما تزكى الشهود إنسانا وقيل زكاة صدقة به على أبويه.

وجعلني مباركا أي ذا بركات ومنافع في الدين والدعاء إليه ومعلما له(٧).

وفي تفسير الطبري: « قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً﴾ اختلف أهل التأويل في معنى ذلك فقال بعضهم معناه وجعلني نفاعا، فعن مجاهد: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً﴾ قال نفاعًا»(٨).

---

(٤) يوسف: من الآية٩٣.

(٥) يوسف:٩٦.

(٦) مريم:٣١.

(٧) تفسير القرطبي (١١/ ١٠٣).

(٨) تفسير القرطبي: (١٦ / ٨٠)

وفي تفسير ابن كثير: «قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكاً أَيْنَ مَا كُنْتُ﴾، قال مجاهد وعمرو بن قيس والثوري وجعلني معلما للخير وفي رواية عن مجاهد نفاعا »[9].

وقد أمرنا الله سبحانه وتعالى بذلك في عموم قوله تعالى ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾[10] . وعموم قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ﴾[11]

يقول الإمام القرطبي في تفسيره للآية الأولى: «والحرمات المقصودة هنا هي أفعال الحج المشار إليها في قوله: ﴿ ثُمَّ لْيَقْضُوا تَفَثَهُمْ وَلْيُوفُوا نُذُورَهُمْ﴾[12] ، ويدخل في ذلك تعظيم المواضع، قاله ابن زيد وغيره، ويجمع ذلك أن نقول: الحرمات امتثال الأمر من فرائضه وسننه. وقوله ﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ﴾ أي التعظيم خير له عند ربه من التهاون بشيء منها...» أ.هـ.

ويقول العلامة الألوسي في تفسيره: « "﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ﴾ جمع حرمة وهو ما يحترم شرعا والمراد بها **جميع التكليفات من مناسك الحج وغيرها،** وتعظيمها بوجوب مراعاتها والعمل بموجبه..» أ.هـ.

ويقول الإمام القرطبي في تفسيره للآية الثانية: « ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ الشعائر جمع شعيرة وهو كل شيء لله تعالى فيه أمر أشعر به وأعلم....» إلى أن قال: «وقال زيد بن أسلم: الشعائر ست: الصفا، والمروة، والبدن، والجمار، والمسجد الحرام، وعرفة، والركن، وتعظيمها إتمام ما يفعل بها، وقال ابن عمر والحسن ومالك وابن زيد: الشعائر مواضع الحج كلها من منى وعرفة والمزدلفة والصفا والمروة والبيت وغير ذلك وهو نحو قول زيد. وقيل: هي شرائع دينه تعالى وتعظيمها التزامها، والجمهور على الأول وهو أوفق لما بعد» أ.هـ.

قال: «فشعائر الله أعلام دينه لا سيما ما يتعلق بالمناسك» أ.هـ.

يقول العلامة الألوسي: « ﴿وَمَنْ يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ﴾ أي البدن الهدايا كما روي عن ابن عباس ومجاهد وجماعة، وهي جمع شعيرة أو شعارة بمعنى العلامة كالشعار، وأطلقت على البدن الهدايا لأنها من معالم الحج أو علامات طاعته تعالى وهدايته

يقول العلامة عبدالغني النابلسي: «وشعائر الله هي الأشياء التي تشعر –أي تعلم– به تعالى، كالعلماء والصالحين أحياء وأمواتا ونحوهم »أ.هـ.

(9) تفسير ابن كثير (٣/ ١٢١)

(10) (الحج: من الآية٣٠)

(11) (الحج:٣٢)

(12) (الحج: من الآية٢٩)

قلت: والآية الكريمة دالة على ذلك بمفهوم الموافقة، فلما كانت الأنبياء والعلماء والصالحون أكثر إشعارا وإعلاما به تعالى، صار فحوى خطاب الآية أنهم أولى بالتعظيم من البدن والجمار وباقي المناسك. فثبت بذلك أن التبرك المستتبع والمرادف للتعظيم مأمور به بنص الآية الكريمة.

البركة في الأزمنة:

قال الله تعالى: ﴿حم وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾[١٣]

البركة في الأمكنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكاً﴾[١٤]

قال في تفسير الطبري[١٥]: ﴿مُبَارَكاً﴾ جعله مباركا لتضاعف العمل فيه فالبركة كثرة الخير. وقيل مباركا لأن الطواف به مغفرة للذنوب.

وفي تفسير القرطبي[١٦]: قوله تعالى: ﴿أَنزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً﴾[١٧] أي إنزالا لا أرى فيه ما أكره. فعلى هذا يكون قوله: ﴿مُبَارَكاً﴾ يعني بالسلامة والنجاة.

قلت: وبالجملة فالآية تعليم من الله عز وجل لعباده إذا ركبوا وإذا نزلوا أن يقولوا هذا بل وإذا دخلوا بيوتهم وسلموا قالوا مثل هذا، وروي عن علي رضي الله عنه أنه كان إذا دخل المسجد قال: «اللهم أنزلني منزلا مباركا وأنت خير المنزلين».

وفيه[١٨]: قوله تعالى: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾[١٩] قال ابن عمر المشكاة جوف محمد ﷺ والزجاجة قلبه والمصباح النور الذي

---

(١٣) (الدخان:٢و٣)

(١٤) (آل عمران: من الآية٩٦).

(١٥) الطبري (٤ / ١٠)

(١٦) القرطبي (١٠/ ٣١٣)

(١٧) المؤمنون: من الآية٢٩.

(١٨) القرطبي (١٢/ ١٢٠)

(١٩) النور: من الآية٣٥.

جعله الله تعالى في قلبه ﴿يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ﴾ أي أن أصله من إبراهيم وهو شجرته فأوقد الله تعالى في قلب محمد ﷺ النور كما جعله في قلب إبراهيم عليه السلام.

نماذج للتبرك من السنة المطهرة

اتفق العلماء على مشروعية التبرك بآثار النبي ﷺ وأورد علماء السيرة والشمائل والحديث أخبارا كثيرة تمثل تبرك الصحابة الكرام رضي الله عنهم بأنواع متعددة من آثاره ﷺ وسنذكر في هذه الرسالة أنواعا متعددة مما ورد في السنة في هذا الموضوع:

- التبرك بالأماكن التي صلى فيها ﷺ

حدثنا موسى بن عقبة قال: رأيت سالم بن عبدالله يتحرى أماكن من الطريق فيصلي فيها ويحدث أن أباه كان يصلي فيها وأنه رأى النبي ﷺ يصلي في تلك الأمكنة، وحدثني نافع عن ابن عمر أنه كان يصلي في تلك الأمكنة، وسألت سالما فلا أعلمه إلا وافق نافعا في الأمكنة كلها إلا أنهما اختلفا في مسجد بشرف الروحاء.

حدثنا موسى بن عقبة عن نافع أن عبدالله بن عمر أخبره أن رسول الله ﷺ كان ينزل بذي الحليفة حين يعتمر وفي حجته حين حج تحت سمرة في موضع المسجد الذي بذي الحليفة، وكان إذا رجع من غزو كان في تلك الطريق أو حج أو عمرة هبط من بطن واد فإذا ظهر من بطن واد أناخ بالبطحاء التي على شفير الوادي الشرقية فعرّس ثَمَّ حتى يصبح ليس عند المسجد الذي بحجارة ولا على الأكمة التي عليها المسجد، كان ثم خليج يصلي عبدالله عنده في بطنه كثب كان رسول الله ﷺ يصلي فدحا السيل فيه بالبطحاء حتى دفن ذلك المكان الذي كان عبدالله يصلي فيه.

هذان النصان في صحيح البخاري يثبتان كيف أن أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يتتبعون آثاره التي مر بها والمساجد التي صلى فيها فيصلون فيها تمثلا وتبركا وتأسيا بهم، فهل يكون المتبع لهم وثنيا؟!

وعن ابن عمر قال: دخل النبي ﷺ البيت فجئت فإذا قد خرج وإذا بلال قائم عند باب الكعبة، قال: قلت: يا بلال أين صلى النبي ﷺ؟ فقال: هاهنا، قال: ثم خرج فصلى ركعتين بين الحجر والباب، قال: فكان مجاهد يصفها بين الأسطوانتين اللتين من قبل باب بني مخزوم. قال أبو بكر (الراوي عن مجاهد):

وقال عثمان بن أبي شيبة أخبرنا أبو أسامة عن زكريا عن أبي إسحاق عن أبي

فكان مجاهد يصفها أي صلاته في الكعبة أنه صلى بين الأسطوانتين اللتين من قبل باب بني مخزوم.[21]

---

(٢٠) رواهما البخاري في كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ، رقم (٤٦٩، ٤٧٠).

(٢١) صحيح ابن خزيمة رقم (٣٠١٦)، ط. المكتب الإسلامي-بيروت.

ميسرة قال: قال عمر: قلت: يا رسول الله هذا مقام خليل ربنا؟ قال: نعم. قال: أفلا نتخذه مصلى؟ فنزلت: ﴿وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾[٢٢].

ويقول الحافظ في الفتح: وفي الترمذي من حديث عمرو بن عوف أنه ﷺ صلى في وادي الروحاء وقال: لقد صلى في هذا المسجد سبعون نبيا

وعرف من صنيع ابن عمر استحباب تتبع آثار النبي ﷺ والتبرك بها.

وقد قال البغوي من الشافعية: إن المساجد التي ثبت أن النبي ﷺ صلى فيها لو نذر أحد الصلاة في شيء منها تعين كما تتعين المساجد الثلاثة

وذكر البخاري المساجد التي في طرق المدينة، ولم يذكر المساجد التي كانت بالمدينة؛ لأنه لم يقع له إسناد في ذلك على شرطه، وقد ذكر عمر بن شبة في (أخبار المدينة) المساجد والأماكن التي صلى فيها النبي ﷺ بالمدينة مستوعبا.

وروى عن أبي غسان عن غير واحد من أهل العلم أن كل مسجد بالمدينة ونواحيها مبنى بالحجارة المنقوشة المطابقة فقد صلى فيه النبي ﷺ وذلك أن عمر بن عبد العزيز حين بنى مسجد المدينة سأل الناس وهم يومئذ متوافرون عن ذلك ثم بناها بالحجارة المنقوشة المطابقة أهـ.

وقد عين عمر بن شبة منها شيئا كثيرًا لكن أكثره في هذا الوقت قد اندثر وبقي من المشهورة الآن مسجد قباء، ومسجد الفضيخ، وهو شرق مسجد قباء، ومسجد بني قريظة، ومشربة أم إبراهيم، وهي شمالي مسجد بني قريظة، ومسجد بني ظفر شرق البقيع ويعرف بمسجد البغلة، ومسجد بني معاوية، ويعرف بمسجد الإجابة، ومسجد الفتح قريب من جبل سلع، ومسجد القبلتين في بني سلمة هكذا أثبته بعض شيوخنا وفائدة معرفة ذلك ما تقدم عن البغوي، والله أعلم[٢٣].

وحدثنا المكي بن إبراهيم قال حدثنا يزيد بن أبي عبيد قال كنت آتي مع سلمة بن الأكوع فيصلي عند الأسطوانة التي عند المصحف فقلت يا أبا مسلم أراك تتحرى الصلاة عند هذه الأسطوانة قال: فإني رأيت النبي ﷺ يتحرى الصلاة عندها[٢٤].

يقول الحافظ: والأسطوانة المذكورة حقق لنا بعض مشايخنا أنها المتوسطة في الروضة المكرمة وأنها تعرف بأسطوانة المهاجرين.

(٢٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٦٩- ١٧٢.

(٢٣) فتح الباري ١/ ٥٧١.

(٢٤) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب الصلاة إلى الأسطوانة، رقم (٤٨٠).

قال: وروى عن عائشة أنها كانت تقول: لو عرفها الناس لاضطربوا عليها بالسهام، وأنها أسرتها إلى ابن الزبير؛ فكان يكثر الصلاة عندها. ثم وجدت ذلك في تاريخ المدينة لابن النجار، وزاد: أن المهاجرين من قريش كانوا يجتمعون عندها، وذكره محمد بن الحسن في أخبار المدينة[25]. وعن عتبان بن مالك وهو من أصحاب رسول الله ﷺ ممن شهد بدرا من الأنصار « أنه أتى رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله قد أنكرت بصري وأنا أصلي لقومي، فإذا كانت الأمطار سال الوادي الذي بيني وبينهم لم أستطع أن آتي مسجدهم فأصلي بهم، ووددت يا رسول الله أنك تأتيني فتصلي في بيتي فأتخذه مصلى، قال: فقال رسول الله ﷺ: سأفعل إن شاء الله. قال عتبان فغدا رسول الله ﷺ وأبو بكر حين ارتفع النهار فاستأذن رسول الله ﷺ فأذنت له، فلم يجلس حتى دخل البيت ثم قال ﷺ: أين تحب أن أصلي من بيتك؟ قال: فأشرت له إلى ناحية من البيت، فقام رسول الله ﷺ فكبر... قال الحافظ: وفيه التبرك بالمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ أو وطئها، ويستفاد منه أن من دعي من الصالحين ليتبرك به أنه يجيب إذا أمن الفتنة، ويحتمل أن يكون عتبان إنما طلب بذلك الوقوف على جهة القبلة بالقطع[27]. فانظر إلى حرص هذا الصحابي على أن يصلي رسول الله ﷺ في بيته فيتخذه مصلى تبركًا بموضع سجوده. ولم ينكر عليه رسول الله ﷺ ذلك، بل قال له سأفعل، وفعل برفقة أبي بكر رضي الله عنه واتخذه الرجل مصلى. ألا يدل ذلك على حرص الصحابة على التبرك بمواقف رسول الله ﷺ ومواضعه ومواطئ أقدامه؟!

وبعد ذلك يعقد البخاري بابًا آخر بعنوان:

(باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ)

ويعرض فيه تتبع أصحاب رسول الله ﷺ- لا سيما عبدالله بن عمر - لتلك المواضع[28].

---

(٢٥) فتح الباري ١/ ٥٧٧.

(٢٦)صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد في البيوت، رقم (٤١٥).

(٢٧) فتح الباري ١/ ٥٢٢.

(٢٨) صحيح البخاري: كتاب الصلاة، باب المساجد التي على طرق المدينة والمواضع التي صلى فيها النبي ﷺ ١/ ١٨٣، رقم (٤٦٩، ٤٧٠).

أليست دعوة من البخاري للتبرك بآثاره ﷺ؟!

وقال سيدنا عمر رضي الله عنه: لو كان مسجد قباء في أفق من الآفاق ضربنا إليه أكباد المطي. رواه عبدالرزاق في المصنف وإسناده قوي. وله طريق آخر رواه ابن شبة في تاريخ المدينة المنورة فصار الحديث صحيحا[29].

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: لأن أصلي في مسجد قباء ركعتين أحب إلي من أن آتي بيت المقدس مرتين، ولو يعلمون ما في قباء لضربوا إليه أكباد المطي.

ومن ذلك تتبع جابر لآثار النبي ﷺ:

عن جابر بن عبدالله « أن النبي ﷺ دعا في مسجد الفتح ثلاثا يوم الإثنين ويوم الثلاثاء ويوم الأربعاء فاستجيب له يوم الأربعاء بين الوقوف فعرف البشر في وجهه ». قال جابر: فلم ينزل بي أمر مهم غليظ إلا توخيت تلك الساعة فأدعو فيها فأعرف الإجابة[30].

ولم يقتصر تبرك الصحابة بأماكن صلاته ﷺ، وإنما تعداها إلى منقولاته ﷺ.

- التبرك بما شرب فيه أو مسه ﷺ

أخرج البخاري في باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته، عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: « ... فأقبل النبي ﷺ يومئذ حتى جلس في سقيفة بني ساعدة هو وأصحابه، ثم قال: اسقنا يا سهل، فخرجت لهم بهذا القدح فأسقيتهم فيه. فأخرج لنا سهل ذلك القدح فشربنا منه، قال: ثم استوهبه عمر بن عبد العزيز بعد ذلك فوهبه له »[31]. وهذا نحو ما أجمعوا عليه وأطبق السلف والخلف عليه من التبرك بالصلاة في مصلى رسول الله ﷺ في الروضة الكريمة ودخول الغار الذي دخله ﷺ وغير ذلك. من هذا إعطاؤه ﷺ أبا طلحة شعره ليقسمه بين الناس، وإعطاؤه ﷺ حقوه لتكفن فيه بنته رضي الله عنها، وجعله الجريدتين على القبرين، وجمعت بنت ملحان عرقه ﷺ، وتمسحوا بوضوئه ﷺ، ودلكوا وجوههم بنخامته ﷺ، وأشباه هذه كثيرة مشهورة في الصحيح، وكل ذلك واضح لا شك فيه»[32].

(29) مصنف عبدالرزاق (٥/ ١٣٣) وتاريخ المدينة المنورة (١/ ٤٩)

(30) رواه أحمد (٣/ ٣٣٢، رقم ١٤٦٠٣). قال في مجمع الزوائد (٤/ ١٢): رواه أحمد والبزار ورجال أحمد ثقات.

(31) صحيح البخاري: كتاب الأشربة، باب الشرب من قدح النبي ﷺ وآنيته، رقم (٥٣١٤). ورواه مسلم في كتاب الأشربة، باب إباحة النبيذ الذي لم يشتد ولم يصر مسكرا، رقم (٢٠٠٧).

وعن السيدة كبشة الأنصارية أن رسول الله ﷺ دخل عليها وعندها قربة معلقة، فشرب منها وهو قائم، فقطعت فم القربة تبتغي بركة موضع في (أي فم) رسول الله ﷺ [33].

وعن أنس بن مالك أن النبي ﷺ دخل على أم سليم وفي البيت قربة معلقة فتناولها فشرب من فيها وهو قائم قال: فقطعت أم سليم فم القربة فهي عندنا[34].

قال الإمام النووي في رياض الصالحين: «وإنما قطعتها لتحفظ موضع فم رسول ﷺ، وتتبرك به: وتصونه عن الابتذال »[35]. انتهى

- التبرك بعرقه وجبته وبردته ﷺ

عن أنس بن مالك قال: «دخل علينا النبي ﷺ فقال عندنا فعرق، وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت العرق فيها فاستيقظ النبي ﷺ، فقال: يا أم سليم! ما هذا الذي تصنعين؟ قالت: هذا عرقك نجعله في طيبنا، وهو من أطيب الطيب»[36].

قال الذهبي[37]: قال ابن سعد: عن البراء بن زيد: أن النبي ﷺ قال ت من القيلولة - في بيت أم سليم على نطع، فعرق، فاستيقظ، وهي تمسح العرق، فقال: «ما تصنعين»؟ قالت: آخذ هذه البركة التي تخرج منك. أخرجه ابن سعد في الطبقات وأخرجه مسلم من طريق آخر وأحمد[38].

وفي رواية عند مسلم: فقال ﷺ: «ما تصنعين يا أم سليم»؟. فقالت: يا رسول الله نرجو بركته لصبياننا. قال: «أصبت». انتهى

وقال الذهبي[39]: عن أنس: أن النبي ﷺ لما أراد أن يحلق رأسه بمنى، أخذ أبو طلحة شق شعره، فجاء به إلى أم سليم، فكانت تجعله في سُكها (أي طيبها).

قالت: وكان يقيل عندي على نطع (بساط من جلد) وكان معراقا (كثير العرق)

---

(٣٢) شرح النووي على صحيح مسلم ١٣/ ١٧٨- ١٧٩، ط. دار إحياء التراث العربي- بيروت.

(٣٣) رواه الترمذي (١٨٩٢) وابن ماجه (٣٤٢٣) وإسناده صحيح.

(٣٤) رواه أحمد (٦/ ٤٣١) والترمذي في الشمائل (٢١٦) والضياء في المختارة (٧/ ٢٩٥).

(٣٥) رياض الصالحين ص٣٣٩

(٣٦) رواه مسلم في كتاب الفضائل، باب طيب عرق النبي والتبرك به، رقم (٢٣٣١).

(٣٧) (٢/ ٣٠٨)

(٣٨) الطبقات لابن سعد (٨/ ٤٢٨) ومسلم (٢٣٣١ مكررا) وأحمد (٣/ ٢٢٦، ٢٢١)

(٣٩) (٢/ ٣٠٨)

ﷺ، فجعلت أسلت العرق في قارورة. فاستيقظ، فقال: «ما تفعلين»؟ قلت: أريد أن أدوف (أخلط) بعرقك طيبي. أخرجه ابن سعد في الطبقات وأحمد في المسند وإسناده صحيح[40]. انتهى

وعن عبدالله مولى أسماء بنت أبي بكر قال: أرسلتني أسماء إلى عبدالله بن عمر فقالت: هذه جبة رسول الله ﷺ فأخرجت إلي جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجيها مكفوفين بالديباج، فقالت: هذه كانت عند عائشة حتى قبضت، فلما قبضت قبضتها، وكان النبي ﷺ يلبسها، فنحن نغسلها للمرضى يستشفى بها[41].

قال الإمام النووي: وفي هذا الحديث دليل على استحباب التبرك بآثار الصالحين وثيابهم[42] انتهى.

وعن سهل بن سعد قال: «جاءت امرأة إلى النبي ﷺ ببردة فقالت: يا رسول الله أكسوك هذه؛ فأخذها النبي ﷺ محتاجا إليها فلبسها فرآها عليه رجل من الصحابة فقال: يا رسول الله ما أحسن هذه فاكسنيها؟ فقال: نعم، فلما قام النبي ﷺ لامه أصحابه، قالوا: ما أحسنت حين رأيت النبي ﷺ أخذها محتاجا إليها، ثم سألته إياها وقد عرفت أنه لا يسأل شيئا فيمنعه، فقال: رجوت بركتها حين لبسها النبي ﷺ لعلي أكفن فيها»[43].

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: « فيه التبرك بآثار الصالحين»[44].

وقال بعض الشافعية: ينبغي لمن استعد شيئا من ذلك (أي من لمن جهز قبره وكفنه قبل موته) أن يجتهد في تحصيلها من جهة يثق بحلها أو من أثر من يعتقد فيه الصلاح والبركة. انتهى

التبرك بشعره وظفره ونعله ﷺ

حدثنا عبدالحميد بن جعفر عن أبيه أن خالد بن الوليد فقد قلنسوة له يوم

---

(40) أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٤٢٨-٤٢٩) وأحمد في المسند (٣/ ٢٨٧)

(41) رواه مسلم في كتاب اللباس والزينة،(باب تحريم استعمال إناء الذهب والفضة على الرجال، رقم (٢٠٦٩).

(42) شرح النووي على مسلم (١٤/ ٤٤)

(43) رواه البخاري في كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل، رقم (٥٦٨٩)، وفي مواضع أخرى من صحيحه، منها: في كتاب الجنائز، باب من استعد الكفن في زمن النبي فلم ينكر عليه، رقم (١٢١٨). وانظر أيضا: سير أعلام النبلاء ٤/ ٤٢- ٤٣.

(44) فتح الباري (٣/ ١٤٤)

اليرموك، فقال: اطلبوها؛ فلم يجدوها فوجدوها وإذا هي قلنسوة خلقة، فقال خالد: «إن رسول الله ﷺ حلق رأسه وابتدر الناس جوانب شعره فسبقتهم إلى ناصيته فجعلتها في هذه القلنسوة فلم أشهد قتالا وهي معي إلا رزقت النصر»[٤٥].

فأخرج البخاري في صحيحه قصة صلح الحديبية وفيه مجيء عروة بن مسعود رسول قريش... قال: ثم إن عروة جعل يرمق صحابة رسول الله ﷺ بعينه فوالله ما يتنخم رسول الله ﷺ نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم انقادوا لأمره، وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحدون إليه النظر تعظيما له»[٤٦].

وأخرج أبو عوانة في صحيحه: «أن رسول الله ﷺ أمر الحلاق فحلق رأسه ودفع إلى أبي طلحة الشق الأيمن ثم حلق الشق الآخر فأمره أن يقسمه بين الناس»[٤٧].

ورواه مسلم من طريق ابن عيينة عن هشام بن حسان عن ابن سيرين بلفظ: «لما رمى الجمرة ونحر نسكه ناول الحالق شقه الأيمن فحلقه، ثم دعا أبا طلحة فأعطاه إياه، ثم ناوله الشق الأيسر فحلقه فأعطاه أبا طلحة، فقال: اقسمه بين الناس»[٤٨].

قال النووي: وفيه التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه[٤٩].

قال الذهبي[٥٠] عن ابن عباس، قال: لما احتضر معاوية، قال: إني كنت مع رسول الله ﷺ على الصفا، وإني دعوت بمشقص، فأخذت من شعره، وهو في موضع كذا وكذا، فإذا أنا مت، فخذوا ذلك الشعر، فاحشوا به فمي ومنخري.

وروي بإسناد عن ميمون بن مهران نحوه أن معاوية أوصى فقال:

---

(٤٥) رواه الحاكم في المستدرك ٣/ ٣٣٨، رقم (٥٢٩٩). قال في مجمع الزوائد (٩/ ٣٤٩): رواه الطبراني وأبو يعلى بنحوه، ورجالهما رجال الصحيح، وجعفر سمع من جماعة من الصحابة فلا أدري سمع من خالد أم لا.

(٤٦) جزء من حديث طويل رواه البخاري في كتاب الشروط، باب الشروط في الجهاد والمصالحة مع أهل الحرب وكتابة الشروط، رقم (٢٥٨١)، وابن حبان في صحيحه ١١/ ٢١٦- ٢٢٧، رقم (٤٨٧٢).

(٤٧) فتح الباري ١/ ٢٧٤.

(٤٨) فتح الباري ١/ ٢٧٤، وهو في صحيح مسلم: كتاب الحج، باب بيان أن السنة يوم النحر أن يرمي ثم ينحر ثم يحلق، رقم (١٣٠٥).

(٤٩) فتح الباري ١/ ٢٧٤.

(٥٠) (٣/ ١٥٨-١٦٠)

كنت أوضئ رسول الله ﷺ فنزع قميصه وكسائيه فرفعته، وخبأت قلامة أظفاره، فإذا مت، فألبسوني القميص على جلدي، واجعلوا القلامة مسحوقة في عيني، فعسى [الله أن يرحمني ببركتها]. إسناده صحيح ويزداد صحة بالطرق الأخرى، وما بين المعقوفتين من تاريخ الطبري. والحديث أخرجه الطبري في تاريخه. وأخرجه البلاذري في أنساب الأشراف وأخرجه ابن سعد في الطبقات ومن طريقه ابن عساكر في تاريخه[٥١].

وقال الذهبي[٥٢] في ترجمة الإمام العلم الفقيه الثقة المتقن التابعي الجليل عبيدة بن ناجية السلماني رحمه الله: «وروى البخاري في صحيحه عن محمد بن سيرين قال: قلت لعبيدة: عندنا من شعر النبي ﷺ أصبناه من قبل أنس أو من قبل أهل أنس. فقال: لأن تكون عندي شعرة منه ﷺ أحب إلي من الدنيا وما فيها» اهـ. وكان أبو طلحة أول من أخذ من شعره[٥٣]. أبو طلحة هو زوج أم سليم والدة أنس.

قال الحافظ ابن حجر في الفتح: «فيه التبرك بشعره ﷺ وجواز اقتنائه»[٥٤].

انتهى. يقول الذهبي: «فنقول نحن إذ فاتنا ذلك: حجر معظم بمنزلة يمين الله في الأرض مسته شفتا نبينا ﷺ لاثماً له، فإذا فاتك الحج وتلقيت الوفد، فالتزم الحاج وقبل فمه وقل: فم مسه بالتقبيل حجراً قبله خليلي ﷺ»[٥٥].

وقال الذهبي: قال الخلال: أخبرني عصمة بن عصام، حدثنا حنبل قال: أعطى بعد ولد الفضل بن الربيع أبا عبدالله (أحمد بن حنبل) وهو في الحبس ثلاث شعرات فقال: هذه من شعر النبي ﷺ فأوصى أبو عبدالله عند موته أن يجعل على كل عين شعرة، وشعرة على لسانه ففعل ذلك عند موته[٥٦].

---

(٥١) تاريخ الطبري (٦/ ١٨٢١). وأنساب الأشراف للبلاذري في (٥/ ١٦٠) والطبقات لابن سعد وابن عساكر في تاريخه (مخطوط ج ١٦/ ورقة ٣٧٩).

(٥٢) (٤/ ٤٢-٤٣)

(٥٣) رواه البخاري

(٥٤) فتح الباري (١/ ٢٧٤)

(٥٥) السير (٤/ ٤٣)

(٥٦) السير (١١/ ٣٣٧)

وقال ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد: (الباب الرابع والعشرون في ذكر تبركه واستشفائه بالقرآن وماء زمزم وشعر الرسول ﷺ وقصعته)[57]

ثم روى ابن الجوزي عن صالح ابن الإمام أحمد قال: كنت ربما اعتللت فيأخذ أبي قدحاً فيه ماء فيقرأ فيه ثم يقول: اشرب منه واغسل وجهك ويديك.

وروى ابن الجوزي عن عبدالله بن أحمد بن حنبل قال: رأيت أبي يأخذ شعرة من شعر ﷺ فيضعها على فيه ويقبلها، وأحسب أني رأيته يضعها على عينيه، ويغمسها في الماء، ثم يشربه يستشفي به، ورأيته قد أخذ قصعة النبي ﷺ فغسلها في حب [illegible]

قال الذهبي رحمه الله (١٢/ ٣٩٦) في ترجمة الإمام الحافظ [illegible] محمد بن إسماعيل [illegible] البخاري[57] رضي الله عنه: قال محمد الوراق: دخل أبو عبدالله (البخاري) بفربر الحمّامَ وكنتُ أنا في مشلح الحمّام أتعاهد عليه ثيابه، فلما خرج ناولته ثيابه فلبسها ثم ناولته الخف فقال: مسست شيئاً فيه شعر النبي ﷺ؟ فقلت: في أي موضع هو من الخف؟ فلم يخبرني فتوهمت أنه في ساقه بين الظهارة والبطانة.

وقال الذهبي[58]: ابن حنزابة الإمام الحافظ الثقة الوزير الأكمل أبو الفضل جعفر ابن الوزير أبي الفتح الفضل بن جعفر.

قال [illegible]: لما غسل ابن حنزابة جعل فيه ثلاث شعرات من شعر النبي ﷺ كان أخذها بمال عظيم

[illegible] في البر والمعروف الأموال، وأنفق كثيراً على أهل الحرمين الى أن اشترى داراً أقرب شيء إلى الحجرة النبوية، وأوصى أن يدفن فيها، وأرضى الأشراف بالذهب. فلما حمل تابوته من مصر تلقوه ودفن في تلك الدار. توفي سنة ٣٩١.

قال الحافظ الذهبي في ترجمة الصحابي الجليل شداد بن أوس الأنصاري رضي الله عنه:

وكانت النعل [أي نعل سيدنا النبي ﷺ] زوجاً، خلفها شداد [بن أوس] عند ولده، فصارت إلى [ابنه] محمد بن شداد، فلما أن رأت أخته خزرج ما نزل به وبأهله. جاءت، فأخذت فرد النعلين وقالت: يا أخي، ليس لك نسل، وقد رزقت ولداً وهذه مكرمة رسول الله ﷺ أحب أن تشرك فيها ولدي فأخذتها منه[59].

(57) مناقب الإمام أحمد (١٨٦-١٨٧)

(58) (١٦/ ٤٨٤ و ٤٨٧)

(59) (٢/ ٤٦٣)

- تبركه ﷺ بتربة المدينة ومواضع الأنبياء

عن عائشة رضي الله عنها: «أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء منه، أو كانت به قرحة أو جرح، قال النبي ﷺ بإصبعه هكذا ووضع سبابته بالأرض ثم رفعها: باسم الله تربة أرضنا بريقة بعضنا ليشفى بها سقيمنا بإذن ربنا». متفق عليه، واللفظ لمسلم[٦٠].

قال ابن القيم: «وإذا كان هذا في التربات؛ فما الظن بأطيب تربة على وجه الأرض وأبركها، وقد خالطت ريق رسول الله ﷺ، وقارنت رقيته باسم ربه، وتفويض الأمر إليه»[٦١].

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: «لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك، تلقاه رجال من المتخلفين من المؤمنين، فأثاروا غبارًا، فخمّر بعض من كان مع النبي ﷺ أنفه، فأزال رسول الله ﷺ اللثام عن وجهه وقال: والذي نفسي بيده إن في غبارها شفاء من كل داء»[٦٢].

وأبرك تراب في المدينة ما كان في مسجد الرسول ﷺ، إذ هو روضة من رياض الجنة.

فمن عاب تربتها فقد طعن في نفسه، لأن تربة المدينة هي تربة النبي ﷺ، ولذا أفتى الإمام مالك رحمه الله فيمن قال: تربة المدينة رديئة، بأن يضرب ثلاثين درة وأمر بحبسه، وقال: ما أحوجه إلى ضرب عنقه؛ تربة دفن فيها النبي ﷺ يزعم أنها غير طيبة !![٦٣]

وعن محمد بن عمران الأنصاري عن أبيه أنه قال: عدل إليّ عبد الله بن عمر وأنا نازل تحت سرحة بطريق مكة فقال: ما أنزلك تحت هذه السرحة؟ فقلت: أردت ظلها، فقال: هل غير ذلك؟ فقلت: لا، ما أنزلني إلا ذلك، فقال عبد الله بن عمر: قال رسول الله ﷺ: «إذا كنت بين الأخشبين من منى ونفخ بيده نحو المشرق فإن هناك واديا يقال له: السرر، به شجرة سر تحتها سبعون نبيا»[٦٤] (حديث صحيح).

(٦٠) رواه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي، رقم (٥٤١٣)، ومسلم في السلام، باب استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة، رقم (٢١٩٤).

(٦١) زاد المعاد (٤/ ١٨٧)، الطب النبوي ١٤٥ وما بعدها.

(٦٢) رواه رزين، جامع الأصول (٩/ ٣٣٤). وانظر: الترغيب والترهيب (٢/ ١٤٩).

(٦٣) وفاء الوفا (١/ ٨٢)، وسبل الهدى والرشاد (٣/ ٤٦٣).

(٦٤) موطأ مالك: كتاب الحج، باب جامع الحج، رقم (٩٤٩)، ط. دار إحياء التراث العربي- مصر، النسائي: كتاب مناسك الحج، باب ما ذكر في منى، رقم (٢٩٩٥)، ط. مكتب المطبوعات الإسلامية- حلب، وفي الكبرى رقم (٣٩٨٦)، ط. دار الكتب العلمية- بيروت، البيهقي في السنن الكبرى رقم (٩٣٩٢)، ط. مكتبة دار الباز- مكة المكرمة، ابن حبان في صحيحه رقم (٦٢٤٤)، ط. مؤسسة الرسالة- بيروت.

يقول الزرقاني: وفيه التبرك بمواضع النبيين[٦٥].

ويقول ابن عبدالبر: وفي هذا الحديث دليل على التبرك بمواضع الأنبياء والصالحين ومقاماتهم ومساكنهم، وإلى هذا قصد عبد الله بن عمر بحديثه هذا، والله أعلم[٦٦].

لقد ثبت أن النبي ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج قد صلى في بعض الأماكن تبركاً بأصحابها.

فروى النسائي في (المجتبى) حديث الإسراء والمعراج بسند صحيح عن أنس بن مالك رضي الله عنه في كتاب الصلاة باب فرض الصلاة وفيه: «...فسرت فقال: انزل فصل فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطيبة وإليها المهاجرة ثم قال انزل فصل فصليت، فقال: أتدري أين صليت؟ صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى، ثم قال: انزل فصل فصليت فقال: أتدري أين صليت؟ صليت ببيت لحم حيث ولد عيسى عليه السلام...» إلى آخر الحديث.

يقول الإمام السندي في الحاشية: «صليت بطور سيناء وهذا أصل كبير في تتبع آثار الصالحين والتبرك بها والعبادة فيها»[٦٧] أهـ.

وروى الحافظ الثقة محمد بن إسماعيل الترمذي حديث الإسراء عن شداد بن أوس رضي الله عنه وذكر فيه نزول النبي ﷺ للصلاة في المواضع الثلاثة ورواه عنه الإمام البيهقي بطريقين وقال إن إسناده صحيح وذكر له شواهد كثيرة تؤيده انظر دلائل النبوة للبيهقي[٦٨]

وفي هذا الحديث نرى النبي ﷺ صلى بطور سيناء وببيت لحم مولد عيسى عليه السلام فسن لنا بذلك سنة الصلاة لله في الأماكن المباركة، وما مكان مولد عيسى عليه السلام بأفضل من مكان مولد محمد ﷺ.

فهذا الحديث أصل كبير في تتبع المواطن المباركة والصلاة فيها لله.

---

(٦٥) شرح الزرقاني ٢/ ٥٣٠، ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

(٦٦) التمهيد ١٣/ ٦٦-٦٧.

(٦٧) (١/ ٢٢٢) برقم (٤٥٠).

(٦٨) دلائل النبوة للبيهقي (٢/ ٣٥٦).

التبرك بالنبي ﷺ بعد وفاته

قال الذهبي في ترجمة السيد الحافظ الفقيه الصحابي الجليل أبي هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي رضي الله عنه: «مزود أبي هريرة (والمزود هو وعاء الزاد) قال حماد بن زيد: حدثنا المهاجر مولى آل أبي بكرة، عن أبي العالية، عن أبي هريرة، قال: أتيت رسول الله ﷺ بتمرات، فقلت: ادع لي فيهن يا رسول الله بالبركة. فقبضهن، ثم دعا فيهن بالبركة، ثم قال: «خذهن فاجعلهن في مزود، فإذا أردت أن تأخذ منهن فأدخل يدك فخذ ولا تنثرهن نثراً» فقال: [illegible] سبيل الله، وكنا نأكل ونطعم، وكان المزود معلقا بحقوي، (أي خصري) لا يفارق حقوي، فلما قتل عثمان انقطع»[69] والحديث أخرجه أحمد (٢/ ٣٥٢) والترمذي (٣٧٣٩) وقال الترمذي: حسن غريب[70].

وقال الحافظ الذهبي في معجم شيوخه: عن نافع، عن ابن عمر، أنه كان يكره مسّ قبر النبي ﷺ. قلت (القائل الذهبي): كره ذلك لأنه رآه إساءة أدب. وقد سئل أحمد بن حنبل عن مسّ القبر النبوي وتقبيله فلم ير بذلك بأساً. رواه عنه ولده عبدالله بن أحمد [illegible] بن جعفر في (أخبار المدينة) عن المطلب بن عبدالله بن حنطب قال: أقبل مروان بن الحكم فإذا رجل ملتزم القبر فأخذ مروان برقبته ثم قال: هل تدري ما تصنع؟ فأقبل عليه فقال: نعم إني لم آت الحجر [illegible] رسول الله ﷺ [illegible] لا تبكوا على الدين إذا وليه أهله ولكن ابكوا عليه إذا وليه غير أهله.

قلت: وهو مروي في مسند الإمام أحمد ومستدرك الحاكم وللطبراني في الكبير.

---

(٦٩) (٢/ ٦٣٠)

(٧٠) أحمد (٢/ ٣٥٢) والترمذي (٣٧٣٩) .

(٧١) معجم الشيوخ (١/ ٧٣)

وفي أحد رواياته (واضعا وجهه على القبر) وهو صحيح بمجموع طرقه وصححه الحاكم والذهبي والسيوطي وغيرهم.

الحديث الثاني: عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: « رأيت أسامة يصلي عند قبر رسول الله ﷺ، فخرج مروان بن الحكم فقال: تصلي عند قبره؟ قال إني أحبه فقال له قولا قبيحا. » الحديث. رواه ابن حبان في صحيحه والطبراني وأحمد في مسنده حديث صحيح.

الحديث الثالث: أخرج الحاكم في مستدركه عن علي بن الحسين عن أبيه: «أن فاطمة بنت النبي ﷺ كانت تزور قبر عمها حمزة كل جمعة فتصلي وتبكي عنده » قال الحاكم: (هذا الحديث رواته عن آخرهم ثقات). فهو حديث صحيح، وهو تبرك بعم رسول الله ﷺ.

فالحاصل أن الصلاة والدعاء عند القبر تبركا بصاحبه وتوسلا إلى الله به ليس فيها مخالفة، بل هي سنة صحابية مع أنهم عاينوه حياً، وقبلوا يده، وكادوا يقتتلون على وضوئه، واقتسموا شعره المطهر يوم الحج الأكبر، وكان إذا تنخم لا تكاد نخامته تقع إلا في يد رجل فيدلك بها وجهه.

يقول الذهبي: « ... ونحن لما لم يصح (أي لم يقع) لنا مثل هذا النصيب الأوفر ترامينا على قبره بالالتزام والتبجيل والاستلام والتقبيل. ألا ترى كيف فعل ثابت البناني؟ كان يقبل يد أنس بن مالك ويضعها على وجهه ويقول: يد مست يد رسول الله ﷺ.

وهذه الأمور لا يحركها من المسلم إلا فرط حبه للنبي ﷺ إذ هو مأمور بأن يحب الله ورسوله أشد من حبه لنفسه وولده والناس أجمعين، ومن أمواله ومن الجنة وحورها، بل خلق من المؤمنين يحبون أبا بكر وعمر أكثر من حب أنفسهم.

ألا ترى الصحابة في فرط حبهم للنبي ﷺ قالوا: ألا نسجد لك؟ فقال: لا. فلو أذن لهم لسجدوا له سجود إجلال وتوقير، لا سجود عبادة، كما قد سجد إخوة يوسف عليه السلام ليوسف.

وكذلك القول في سجود المسلم لقبر النبي ﷺ على سبيل التعظيم والتبجيل لا يكفر به أصلاً، بل يكون عاصياً، فليعرف أن هذا منهي عنه، وكذلك الصلاة الى القبر» انتهى كلام الحافظ الذهبي.

وقال الذهبي: قال مصعب بن عبدالله: حدثني إسماعيل بن يعقوب التيمي قال: كان ابن المنكدر يجلس مع أصحابه، فكان يصيبه صمات (أي إغلاق وأعتقال في اللسان) فكان يقوم كما هو حتى يضع خده على قبر النبي ﷺ ثم يرجع، فعوتب في ذلك! فقال: إنه يصيبني خطر فإذا وجدت ذلك استعنت بقبر النبي ﷺ. وكان يأتي موضعا من المسجد (مسجد ﷺ) يتمرغ فيه ويضطجع، فقيل له في ذلك؟ فقال: إني رأيت النبي ﷺ في هذا الموضع[72].

(72) (٥/٣٥٨-٣٥٩)

وجاء نصه في تاريخ الاسلام للذهبي (حوادث سنة ١٢١ – ١٤٠): إنه تصيبني خطرة، فإذا وجدت ذلك استغثت بقبر النبي ﷺ. انتهى[٧٣]

وهذه الرؤيا إما أن تكون مناماً، وإما أن تكون يقظة، فإن رؤية النبي ﷺ يقظة غير ممتنعة عقلا ولا شرعاً، والأدلة على ذلك كثيرة منها قول النبي ﷺ: «من رآني في المنام فقد رآني في اليقظة»[٧٤] وقال النبي ﷺ: «من رآني في المنام فسيراني في اليقظة»[٧٥]

وأحب أن أعرف على وجه السرعة، بهذا الإمام الجليل الثقة محمد بن المنكدر، قال الحافظ الذهبي في السير(٥/ ٣٥٣) الإمام الحافظ القدوة شيخ الإسلام. قال ابن حبان: كان من سادات القراء، لايتمالك البكاء إذا قرأ حديث رسول الله ﷺ.

وقال مالك: كان ابن المنكدر سيد القراء. انتهى

فمثل هذا الإمام العظيم يصدر منه ما تقدم،ويتبرك بقبر سيد الأكوان ﷺ.

وقال الذهبي[٧٦]: الإمام الحافظ الرباني الزاهد العابد القدوة محمد بن إسماعيل البخاري رضي الله عنه: [قال البخاري:] وصنفت كتاب التاريخ إذ ذاك عند قبر رسول الله ﷺ في الليالي المقمرة، وقَلَّ اسم في التاريخ إلا وله قصة إلا أني كرهت تطويل الكتاب.

وقال ابن عدي، سمعت عبد القدوس بن همام يقول: سمعت عدة من المشايخ يقولون: حول محمد بن إسماعيل تراجم جامعه بين قبر رسول الله ﷺ ومنبره، وكان يصلي لكل ترجمة ركعتين.

وقد صنفه عند القبر الشريف ليستمد البركة من سيدنا رسول الله ﷺ فإنه حي في قبره ﷺ. وليت البخاري ذكر هذه القصص التي ذكرها الحافظ الذهبي، فإنها تحتوي العجائب. وقول البخاري المذكور رواه الخطيب في التاريخ.[٧٧]

قال الحافظ العراقي: أخبرني الحافظ أبو سعيد العلائي قال: رأيت في كلام ولد أحمد بن حنبل في جزء قديم عليه خط ابن ناصر وغيره من الحفاظ أن الإمام أحمد سئل عن تقبيل قبر النبي ﷺ وتقبيل غيره؟ فقال: لا بأس بذلك. فأريناه ابن تيمية فصار يتعجب من ذلك ويقول: عندي أحمد جليل !! يقول هذا؟! قال: وأي عجب في ذلك؟!!.

(٧٣) تاريخ الإسلام (٨/ ٢٥٦) ط. دار الكتاب العربي – تحقيق د: عبدالسلام تدمري.

(٧٤) حديث صحيح، رواه أحمد (١/ ٤٠٠) وابن ماجه (٢/ ١٢٨٤) والبزار (٧/ ٢٠١) والطيالسي (١/ ٣١٧) والطبراني في الأوسط (مجمع ٧/ ١٨١) والكبير (مجمع ٧/ ١٨١ و١٨٢) من طرق عنه ﷺ .

(٧٥) رواه البخاري (٦٩٩٣).وانظر للفائدة: في فتح الباري (١٢/ ٣٨٥).

(٧٦) (١٢/ ٤٠٠ و ٤٠٤) السير، الرسالة

(٧٧) تاريخ بغداد (٢/ ٣٢٥) دار الغرب، تحقيق بشار.

التبرك بالصالحين

النصوص في إثبات التبرك كثيرة جداً وفهم منها السادة الفقهاء الحفاظ الأعلام جواز التبرك بالسادة الصالحين قدس الله سرهم.

وقد ذهب قوم لا تقوم بمذهبهم الحجة إلى أن التبرك خاص برسول الله ﷺ وخاص بحياته!

وهذا التخصيص بنوعيه: باطل بدعة، لم يقل به أحد من السلف، ولا المعتبرون من الخلف، وذلك لأن نصوص التبرك بالنبي ﷺ عامة ولا يجوز تخصيصها إلا بدليل من الكتاب أو السنة، ومن زعم أنها مخصوصة ولم يأت بدليل مخصص فقد أخطأ.

وإلى هؤلاء وغيرهم نهدي هذا الحديث الذي رواه البيهقي في (شعب الإيمان) والطبراني في (الأوسط) من حديث ابن عمر رضي الله عنه بإسناد حسن قال:

«قلت يا رسول الله أتوضأ من جرّ حديد مخمر أحب إليك أم من المطاهر؟ قال: لا بل من المطاهر، إن دين الله يسر الحنيفية السمحة».

قال: «**وكان رسول الله ﷺ يبعث إلى المطاهر فيؤتى بالماء فيشربه يرجو بركة أيدي المسلمين**».

قال الهيثمي: رجاله موثقون(٧٨).

فمن منع التبرك بالصالحين بعد أن تبرك بهم رسول الله ﷺ فقد تنكب عن ﷺ وخالف هديه.

أما من منع التبرك به ﷺ بعد وفاته فقد خالف ما أجمعت عليه الأمة من صحابته والتابعين من التبرك بآثاره المختلفة ومرّ نماذج لذلك.

وإليك بعض ما جاء عن العلماء في هذه المسألة:

قال الإمام الحافظ ضياء الدين المقدسي الدمشقي الحنبلي: سمعت الحافظ أبا موسى ابن الحافظ عبدالغني يحدث عن رجل بدمياط قال: كنت يوما عند الحافظ (عبدالغني المقدسي) فقلت في نفسي: كنت أشتهي لو أن الحافظ يعطيني الثوب الذي يلي جسده حتى أكفن فيه فلما أردت القيام قال: لا تبرح. فلما انصرف الجماعة خلع ثوبه الذي يلي جسده وأعطانيه.

قال: فبقي الثوب عندنا، وكل من مرض أو وجع رأسه تركوه عليه حتى يبرأ بإذن الله تعالى. انتهى.

وقال الحافظ أبوبكر الخطيب في تاريخ بغداد وابن أبي يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة وابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد وابن الجوزي في المنتظم والعليمي

---

(٧٨) شعب الإيمان (٢٠) باب في الطهارات ح (٢٧٩١) ج٣ ص٣٠ ط. العلمية، مجمع الزوائد ج١ ص١٤.

الحنبلي في المنهج الأحمد في ترجمة علي بن محمد بن بشار الزاهد العارف الولي الصالح شيخ الحنابلة المتوفى سنة ٣١٣هـ: دفن بالعقبة وقبره إلى الآن ظاهر معروف يتبرك الناس بزيارته.(٧٩) انتهى.

وقال ابن أبي يعلى في الطبقات (٢/ ٢٥٥) أبو بكر أحمد بن علي بن أحمد العلثي أحد المشهورين بالصلاح والزهد، صحب الوالد السعيد سنين يسمع درسه والحديث منه، فعادت بركته عليه فصار عالما زاهدا عابدا فظهر له في الناس القبول والمحبة وإجابة الدعاء. انتهى.

وقال ابن أبي يعلى في طبقات الحنابلة: أبو الحسن علي بن محمد بن عبدالرحمن البغدادي، أحد الفقهاء العقلاء والمناظرين والأذكياء، مات بآمد سنة سبع أو ثمان وستين وأربع مائة، وقبره هناك يقصد ويتبرك به.(٨٠) انتهى.

وقال العلامة ابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد والعلامة العليمي الحنبلي في المنهج الأحمد في ترجمة علي بن محمد المذكور: وقبره هناك مقصود بالزيارة.(٨١) انتهى.

وقال الإمام النووي في التبرك بآثار الصالحين: ومنها التبرك بالصالحين وآثارهم والصلاة في المواضع التي صلوا بها وطلب التبريك منهم(٨٢).

وفي الفروع للعلامة ابن مفلح: ونقل ابن القاسم وشندي أن أحمد سئل عن الرجل يأتي المشاهد ويذهب إليها ترى ذلك؟ قال: أما على حديث ابن أم مكتوم أنه سأل النبي ﷺ أن يصلي في بيته حتى يتخذ ذلك مصلى وعلى نحو ما كان يفعل

---

(٧٩) الخطيب في تاريخ بغداد (١٣/ ٥٣٤)دار الغرب، بشار وابن أبي يعلى الحنبلي في طبقات الحنابلة (٢/ ٦٣) وابن مفلح الحنبلي في المقصد الأرشد (٢/ ٢٥٤) وابن الجوزي في المنتظم (١٣/ ٢٥٢) والعليمي الحنبلي في المنهج الأحمد (٢/ ٢١٣)

(٨٠) طبقات الحنابلة (٢/ ٢٣٤)

(٨١) المقصد الأرشد (٢/ ٢٥٣) المنهج الأحمد (٢/ ٣٨٢)

(٨٢) شرح النووي على صحيح مسلم ٥/ ١٦١.

ابن عمر يتبع مواضع النبي ﷺ وأثره فليس بذلك بأس، إلا أن النـاس أفرطـوا في هذا جدا وأكثروا. قال ابن القاسم: فذكر قبر الحسين وما يفعل الناس عنده.(٨٣)

قلت: فلم ينه إمام أهل السنة إلا عن الإفراط، ومثل بما يصنع عند قبر الحسين رضي الله عنه ولا يخفى ما تصنعه الشيعة عند قبر الحسين من الفظـائع مـن ضرب أنفسهم ونحو ذلك.

---

(٨٣) الفروع ٣/ ١٢٥، ط. دار الكتب العلمية- بيروت.

كلام السادة الحنابلة حول التبرك

جاء في دليل الطالب: وسن أن يحمد الله إذا فرغ، ويقول الحمد لله الذي أطعمني هذا الطعام ورزقنيه من غير حول مني ولا قوة، ويدعو لصاحب الطعام، ويفضل منه شيئا لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته(٨٤).

وفي الإنصاف: قال ابن الزاغوني وغيره وليأت المنبر فيتبرك به تبركا بمن كان يرتقي عليه(٨٥).

وفيه أيضا: ويستحب للضيف أن يفضل شيئا لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته أو كان ثم حاجة(٨٦).

وفي منار السبيل: ويفضل منه –أي الضيف– شيئا ولاسيما إن كان ممن يتبرك بفضلته، أو كان ثم حاجة. قال أبو أيوب كان رسول الله ﷺ إذا أتى بطعام أكل وبعث بفضله إلي فيسأل أبو أيوب عن موضع أصابعه فيتبع موضع أصابعه(٨٧).

وفي كشاف القناع: ويستحب للضيف أن يفضل شيئا من الطعام لا سيما إن كان ممن يتبرك بفضلته أو كان ثم حاجة إلى إبقاء شيء منه(٨٨).

وفي المغني: ويستحب الدفن في المقبرة التي يكثر فيها الصالحون والشهداء لتناله بركتهم، وكذلك في البقاع الشريفة، وقد روى البخاري ومسلم بإسنادهما أن موسى عليه السلام لما حضره الموت سأل الله تعالى أن يدنيه إلى الأرض المقدسة رمية بحجر، قال النبي ﷺ: «لو كنت ثم لأريتكم قبره عند الكثيب الأحمر»(٨٩).

وفي الفروع: ويجوز لمس القبر باليد، وعنه(٩٠): يكره؛ لأن القرب متلقى من التوقيف ولم يرد به سنة؛ ولأنه عادة أهل الكتاب، وعن الشافعية كهذا، وعن الحنفية مثله والذي قبله، وعنه: يستحب، صححها أبو الحسين في التمام، لأنه يشبه مصافحة الحي، لا سيما ممن ترجى بركته(٩١).

وفي الإنصاف: يجوز لمس القبر من غير كراهة... وعنه: يكره. وأطلقهما في

---

(٨٤) دليل الطالب–ط. المكتب الإسلامي–بيروت ١/ ٢٤٨.

(٨٥) الإنصاف للمرداوي ٤/ ٥٤، ط. دار إحياء التراث العربي.

(٨٦) الإنصاف للمرداوي ٨/ ٣٣٣.

(٨٧) منار السبيل ٢/ ١٩٢، ط. مكتبة المعارف– الرياض.

(٨٨) كشاف القناع ٥/ ١٨١، ط. اار الفكر– بيروت.

(٨٩) المغني ٢/ ١٩٣، ط. دار الفكر– بيروت. والحديث رواه البخاري في الجنائز، باب من أحب الدفن في الأرض المقدسة أو نحوها، رقم (١٢٧٤)، وفي أحاديث الأنبياء، باب وفاة موسى وذكره بعد، رقم (٣٢٢٦)، مسلم في الفضائل، باب من فضائل موسى، رقم (٢٣٧٢).

(٩٠) أي عن الإمام أحمد.

(٩١) الفروع ٢/ ٢٣٣–٢٣٤.

الحاويين، والفائق، وابن تميم. وعنه: يستحب. قال أبو الحسين في تمامه: وهي أصح[٩٢].

وفي غاية المنتهى: ولا بأس بلمس قبر بيد لا سيما من ترجى بركته[٩٣].

وفي المغني: مسألة: قال وإذا غدا من طريق رجع من غيره وجملته أن الرجوع في غير الطريق التي غدا منها سنة، وبهذا قال مالك والشافعي، والأصل فيه أن رسول الله ﷺ كان يفعله قال أبو هريرة: «كان رسول الله ﷺ إذا خرج يوم العيد في طريق رجع في غيره»[٩٤].

قال الترمذي: هذا حديث حسن. وقال بعض أهل العلم: كان يحب المساواة بين أهل الطريقين في التبرك بمروره بهم وسرورهم برؤيته وينتفعون بمسألته، وقيل: لتبرك الطريقين بوطئه عليهما.

والشاهد قوله: وقيل لتبرك الطريقين بوطئه عليهما[٩٥].

أسأل الله أن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه وصلى الله على سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم.

---

(٩٢) الإنصاف ٢/ ٥٦٢-٥٦٣.

(٩٣) غاية المنتهى مع مطالب أولي النهى ١/ ٩٣٤، ط. المكتب الإسلامي.

(٩٤) الترمذي: كتاب الجمعة عن رسول الله، باب ما جاء في خروج النبي إلى العيد في طريق ورجوعه من طريق آخر، رقم (٥٤١).

(٩٥) المغني ٢/ ١٢٤.

صدر من هذه السلسلة:

- مقدمة ومدخل عام للمفاهيم.
- كلمة هادئة في **الحياة البرزخية** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **التوسل** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **الاستغاثة** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **أحكام القبور** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **الزيارة وشد الرحال** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **التبرك** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **البدعة** للدكتور عمر عبدالله كامل
- **الترك لا ينتج حكمًا** للشريف عبدالله بن فرّاج العبدلي
- كلمة هادئة في **الاحتفال بالمولد** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **حديث لا تطروني** للدكتور عمر عبدالله كامل
- كلمة هادئة في **حديث الجارية** للدكتور عمر عبدالله كامل

...